الفصل الثامن

الخاتمة

وبعد، هل للأمة قابلية للاستعمار؟

إذا كنا نكتب عن هذه الظاهرة ونظهر عدم قابلية الأمة للاستعمار فإن ما يجري على الأرض يجيب على السؤال الأول. فلو كان للأمة قابلية للاستعمار لكان العراق اليوم نائماً ساكناً يسير أهله كقطعان الأغنام يسوقهم الراعي الأمريكي المستعمر كيفما يشاء.

ولو كان للأمة قابلية للاستعمار، لما رأينا الشعب الفلسطيني موجوداً على الأرض يجتاز محنة ويصمد في وجه الغزو الصهيوني، ولو كان للأمة قابلية للاستعمار لما أجمع علماء الأمة على شرعية الجهاد كفرض عين في أرض الرافدين وفلسطين.

فالأمة تنهض وهذا طريقها على الرغم من التضحيات الجسيمة التي تقدمها وما شهد التاريخ العربي الإسلامي ركوناً لهذه الأمة حتى أيام هجمة التتار المتوحشة فلو أراد اليمين المحافظ في أمريكا أن يصنع لأمة العرب والإسلام طريقة حياة حسب تصوره وأسلوب حياته فإنه واهم تماماً لأنه لا يعرف طبيعة الأمة ولا يعرف إسلامها. إنه يظن أن القرآن الكريم فلسفة وضعية يمكن أن تتغير أو يحذف منها ما يشاء لذلك يحاول أن يفرض تصوراً مبتوراً لمناهج تربية متخيلة جاهلة.

ويبدو أن المحافظين الجدد لا يدركون معنى العروبة وأصالتها وجذورها في وطنها العربي فظلوا على جهلهم ولم يحاولوا أن يدرسوا شخصية هذا الإنسان العربي الذي عاش في صحرائه قبل الإسلام وحضارته بعد الإسلام كريماً عفيفاً متأففاً من السيطرة والتدخل غير المرضي في حياته الشخصية والقبلية وغيرها.

وجهلوا أن هذا الإنسان عندما اعتنق الإسلام آمن إيماناً راسخاً بأن الحياة الدنيا ليست سوى محطة فانية ستنقله إلى عالم آخر يرى فيه سعادته الخالدة الأبدية، فاقتحم الصعاب واستهان بالموت حتى يحقق العدل والمساواة والحرية والكرامة.

إذاً، كيف يكون إنساناً سلبياً غير فاعل؟ كيف يرضى بهذا الذل والإذلال، كيف يرضى أن يرسم الظالمون منهج حياته، والمستعمرون أسلوب تفكيره ومعتقده؟

إن المستقبل وإن كانت معطياته اليوم مشوشة أو غامضة، هو للأمة التي لها جذورها العقدية والتاريخية، لها هويتها وشخصيتها، وإن هددت هذه الهوية وهوجمت إلا أن بناءها النفسي والديني والفكري لا يمكن أن ينهدم. وقد منحها الله سبحانه قوة نهوضها من داخلها، فهي عبر ألف وأربع مئة سنة ظلت تتجدد وتنهض. ولن يكون مصيرها مصير الهنود الحمر كما يتمنى الأعداء.

وإذا سمعنا اليوم من يروج لاستقدام قوات الاستعمار لتحتل أرض العرب والمسلمين فإن ذلك يدل على أن هذه الأمة بصحوتها الإسلامية باتت تبشر بالتغيير فتكاثر عليها الأعداء الخارجيون والداخليون وتكالبوا عليها حتى لا تصحو وتظل مرهونة مستعبدة يتقاذفها الحاقدون والمستغلون.

وليس غريباً أن يخرج من كل أمة فئة ضالة ترتبط بالمستعمر، فهي تكره انتماءها وتعتز بانتماء للأجنبي مبهورة بما قدمه من تكنولوجيا ومن حرية إباحية ومن مغريات مادية يظنون أن فيها راحتهم بينما هي تسلبهم روحهم ووجدانهم وانتماءهم.

إن مستقبل الأمة ليس مرهوناً بما يقدمه المشروع الأمريكي للعرب والمسلمين. وإن من المدهش جداً أن يقدم الاستعمار الصليبي الحاقد والصهيوني العنصري مشروعاً فيه صالح العرب والمسلمين.

فالعرب ينشدون الوحدة الحقيقية والغرب يحارب هذه الوحدة بكل ما أوتي من قوة والمسلمون ينشدون حرية اقتصادهم والغرب يريد هذا الاقتصاد مرهوناً بالقوى الغربية ومسيطراً عليه من قبل اقتصادهم العولمي القاتل.

والمسلمون يريدون مناهجهم الدينية مستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله والغرب يريد مناهج تربية تحذف منها آيات الجهاد ورد العدوان وفضح الحاقدين على الأنبياء من الصهاينة ومن شابههم.

المسلمون يريدون إصلاح أنفسهم بأنفسهم والغرب يريد أن يفرض ما يسمى بالإصلاح على طريقته وهو تدمير للإسلام وقيمه، وتدمير لكل الأخلاق ولكل التاريخ ولكل الحضارة.

فأي قابلية للاستعمار يريدون؟

القبول بالأمر الواقع، الاعتراف بالاحتلال، الاعتراف بسيادة الصهاينة واستعباد العرب والمسلمين. هيمنة الاقتصاد الرأسمالي إلغاء الاقتصاد الوطني؟

أي قابلية للاستعمار يريدون؟

في دائرة العولمة الإمبريالية، لا قومية ولا وطنية ولا ثقافة خاصة ولا مستقبل إلا في ظل استعباد الآلة والسوق الاستهلاكي، تذوب الشعوب في عامل الأخطبوط الأمريكي المتوحش. يقرر مصيرها بيد هنتغتون وفوكوياما وشتراوس وبرنارد لويس وغيرهم من منظري المحافظين الأمريكيين الجدد.

إن الأمة التي حملت القرآن الكريم دستوراً خالداً لا يمكن أن تكون تلك الأمة القابلة للاستعمار. لقد أراد الله سبحانه لها أن تكون أمة رسالية، فإن تكالبت عليها الأمم وإن خرج منها فئة ضالة تدعو للاستعمار فإن ذلك لن يضيرها، ولن يهزمها طالما هي في حفظ الله وحفظ القرآن العظيم، وطالما هي تنهج نهج رسول العالمين محمد خاتم المرسلين وأسوة حسنة لأمة المسلمين المؤمنين.

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ صحيح البخاري، الأزهر، القاهرة، 1986.

3 ـ مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، دون تاريخ.

4 ـ أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت طبعة 10، 1969.

5 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1982.

6 ـ الطبري، تاريخ الطبري، دار صادر، بيروت، ط2 عام 2003.

7 ـ اليعقوبي، ج3، والمسعودي مروج الذهب، ج3.

8 ـ جريدة المجد الأردنية، تاريخ 10/ 6/ 2006.

9 ـ محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار الملاك، ط5، بيروت 1996.

10 ـ سيرة ابن هشام، الجزء الثاني، والسيرة النبوية للدكتور علي محمد الصلابي، ج2، دار الإيمان، القاهرة، 2002.

11 ـ عبد الله ناصح علوان، حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية، مقال: التراث الإسلامي، 2003.

12 ـ من كلمة ألقاها في المؤتمر الصهيوني العالمي في القدس سنة 2004 شباط فبراير ونُشرت الكلمة في الصحف العبرية معاريف وهآرتس ويديعوت أحرونوت.

13 ـ د. شاكر النابلسي، الحوار المتمدن، العدد 873، 2004/ 6/ 23.

14 ـ الدكتور خالد الناصر: أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 55، 1983.

15 ـ نعوم تشومسكي، الإرهاب سلاح الأقوياء، المصدر معهد ماسشوستس MIT.

16 ـ دافيد برساميان، تقرير نُشر في محطة KNA على الهواء مباشرة أيلول 2001.

17 ـ نعوم تشومسكي، الحادي عشر من أيلول، الإرهاب والإرهاب المضاد، دار الفكر دمشق، 2003.

18 ـ جريدة الأنوار، بيروت 29 نيسان 2004 وجريدة الشرق في نفس التاريخ.

19 ـ نقلت المشاهد كل المحطات الفضائية.

20 ـ اسماعيل الشطي، التنصير الخطر والمواجهة، جريدة القبس الكويتية، 7/ 2/ 1986.

21 ـ الدكتور عجيل النشمي: التنصير الخطر والمواجهة، جريدة القبس 14/ 3/ 1986.